دلالات أوصاف نداء الرسول ﷺ في القرآن الكريم

د. صالح بن عبد الله الشثري
كلية الملك خالد
الرياض، المملكة العربية السعودية

الخلاصة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، بلغ الأمانة وأدى الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فصلوات ربي وسلامه عليه، ما تعاقب الليل والنهار، وعدد ذرات الرمل وورق الأشجار، وعلى آله وصحبه الأخيار، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم القرار، أما بعد.

فقد أنزل الله تبارك وتعالى الكتب وأرسل الرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويعبدوه حق عبادته (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [سورة الذاريات، آية ٥٦]. فالرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام هم السراج المنير لهداية البشرية على مر الزمان، منذ أن خلق الله الخلق، إلى أن بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين، (ولقد أرسلنا رسلنا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) [سورة غافر، آية ٧٨].

لقد اهتم القرآن الكريم بذكر الأنبياء والرسل، وبيان حجتهم على أقوامهم، فمنهم من آمن ومنهم من صد عن سبيل الله، وكان في قصصهم عبرة لمن تأمل وتدبر.

وإذا كان القرآن الكريم قد أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فلا ريب أن يكون الخطاب موجهاً إليه في مواضع كثيرة منه، ومن ذلك نداؤه عليه الصلاة والسلام، وهو محل بحثنا وموطن عنايتنا.

وهذا الموضوع بمباحثه يعد جديداً في طرحه، فإذا تأملنا مصنفات المفسرين، أو الذين اعتنوا بأسماء الرسول صلى الله عليه وآله، نجد أحاديث متناثرة، تخلو في الغالب من البحث عن الأسرار، وسبر الأغوار، ولعل هذا البحث يجمع تلك الأقوال المتناثرة، ويخرج بفوائد طيبة.

في هذا البحث سنقف وقفات فيها تأملات، ونظرات لمقاصد الآيات التي ورد فيها نداء الرسول صلى الله عليه وآله بأحد أوصافه الجليلة، وبيان أسرارها البيانية، وما تحويه من معجزات بلاغية، وسيكون البحث حسب الموضوعات الآتية:

التمهيد: مكانة الرسول صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: النداء في القرآن الكريم وأسراره البلاغية.
المبحث الثالث: أوصاف نداء الرسول صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: السياق الذي ورد فيه النداء.

المبحث الرابع: دلالات أوصاف النداء وأسرار إعجازها.

ABSTRACT

All praise is for Allah, the Almighty, and may be send peace and blessings on Muhammad, on his family, and on his Companions.

Allah - all praise for him- has revealed his books and send his messengers to rescue the people from the darkness to the light, and for people to worship Allah with sincere faith

> ﴿وما خَلَقْتُ الْجِن والإنْس إلاّ لِيعبدون﴾
>
> [I did not create the jinns and the humans except to worship Me alone.]. (56 Adh-Dhariyat).

The messengers -peace be upon them- are the lighted lambs as a guidance to the mankind for the history from the creation of creatures till Allah send Muhammad - peace be upon him - the last and final prophets and messengers.

> ﴿ولَقَد أَرسلْنَا رسلًا مِن قَبلِك مِنْهم من قَصصنَا علَيك ومِنْهم من لَم نَقْصص علَيك وما كَان لِرسولٍ أَن يأْتِي بِآيةٍ إِلا بِإِذْن اللهِ فَإِذَا جاء أَمر اللهِ قُضِي بِالْحق وخَسِر هنَالِك الْمبطِلُون﴾ [غافر:٧٨]
>
> [We have sent messengers before you - some of them we mentioned to you, and some we did not mention to you. No messenger can produce any miracle without Allah's authorization. Once Allah's judgment is issued, the truth dominates, and the falsifiers are exposed and humiliated] (78 Ghafir).

The holy Quran has mentioned the prophets and messengers and gave their miracles over their people, some of them have accepted the religion and some of them has refused the message. There was in their stories a lessons for those who can think wise and well.

If Quran has been revealed to the prophet Muhammad – peace be upon him – as the last messenger of Allah, there is no doubt that the calls are directed to him on many places in the holy Quran. The aim of this paper is to describe and discuss the methods of prophets call in the holy Quran. This is however is a new focus in the Quranic study.

For the Quran interpretation and studies there is no many works giving this matter the importance it deserve, so we wish to explore this subject deeply in this paper.

The study will present discuss the matter as follow:

- The position of the prophet Muhammad – peace be upon him – in the Quran.
- Calls in the Holy Quran and its secrets rhetoric.
- Descriptions of Prophet - peace be upon him - Calls in the holy Quran.
- Context in which the calls were stated in the Quran.
- Connotations descriptions of calls and Secrets of their miracles.

مدخل:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، بلغ الأمانة وأدى الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فصلوات ربي وسلامه عليه، ما تعاقب الليل والنهار، وعدد ذرات الرمل وورق الأشجار، وعلى آله وصحبه الأخيار، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم القرار، أما بعد.

فقد أنزل الله تبارك وتعالى الكتب وأرسل الرسل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويعبدوه حق عبادته وما خَلَقْتُ الْجِن والْإِنس إِلا لِيعبدون (١)، فالرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام هم السراج المنير لهداية البشرية على مر الزمان، منذ أن خلق الله الخلق، إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ولَقَد أَرسلْنَا رسلًا من قَبلِك مِنْهم من قَصصنَا علَيك ومِنْهم من لم نَقْصص علَيك وما كَان لِرسولٍ أَن يأْتِي بِآيةٍ إِلا بِإِذْن اللهِ فَإِذَا جاء أَمر اللهِ قُضِي بِالْحق وخَسِر هنَالِك الْمبطِلُون (٢).

لقد اهتم القرآن الكريم بذكر الأنبياء والرسل، وبيان حجتهم على أقوامهم، فمنهم من آمن ومنهم من صد عن سبيل الله، وكان في قصصهم عبرة لمن تأمل وتدبر.

وإذا كان القرآن الكريم قد أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، فلا ريب أن يكون الخطاب موجهاً إليه في مواضع كثيرة منه، ومن ذلك نداؤه عليه الصلاة والسلام، وهو محل بحثنا وموطن عنايتنا.

وهذا الموضوع بمباحثه يعد جديداً في طرحه، فإذا تأملنا مصنفات المفسرين، أو الذين اعتنوا بأسماء الرسول ﷺ، نجد أحاديث متناثرة، تخلو في الغالب من البحث عن الأسرار، وسبر الأغوار، ولعل هذا البحث يجمع تلك الأقوال المتناثرة، ويخرج بفوائد طيبة.

في هذا البحث سنقف وقفات فيها تأملات، ونظرات لمقاصد الآيات التي ورد فيها نداء الرسول صلى الله عيه وسلم بأحد أوصافه الجليلة، وبيان أسرارها البيانية، وما تحويه من معجزات بلاغية، وسيكون البحث حسب الموضوعات الآتية:

التمهيـد: مكانة الرسول ﷺ في القرآن الكريم.
المبحث الأول: النداء في القرآن الكريم وأسراره البلاغية.

المبحث الثاني: أوصاف نداء الرسول ﷺ، في القرآن الكريم.
المبحث الثالث:. السياق الذي ورد فيه النداء.
المبحث الرابع: دلالات أوصاف النداء وأسرار إعجازها.

التمهيـد: مكانة الرسول ﷺ في القرآن الكريم

إن من يتأمل كتاب الله تعالى، ويتتبع ما جاء فيه عن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، يجد الاهتمام بأحوالهم، وما بذلوه مع أقوامهم لهدايتهم إلى دين الله تعالى، وقد بسط القرآن الكريم قصص أولي العزم من الرسول، الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى وإِذْ أَخَذْنَا مِن النبيين مِيثَاقَهم ومِنك ومِن نوحٍ وإِبراهِيم وموسى وعِيسى ابن مريم وأَخَذْنَا مِنْهم ميثَاقًا غَلِيظًا (٣)، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

ولك أن تقوم بنظرة فاحصة ، لترى أنه ورد ذكر اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم باسمه الصريح في أربعة وعشرين موضعاً، وورد ذكر إبراهيم عليه السلام في ثمانية وستين موضعاً، وورد ذكر موسى عليه السلام في مئة وثمانية وثلاثين موضعاً، وجاء ذكر عيسى عليه السلام في خمسة وعشرين موضعاً، هذا كله إما أن يكون في سياق الخبر، أو بالنداء لأولئك الرسل والأنبياء عليهم السلام، بينما لم يرد ذكر اسم نبينا محمد ﷺ باسمه الصريح إلا في خمسة مواضع، أربعة منها بمحمد، وواحد بأحمد(٤)، وكل المواضع الخمسة جاءت في سياق الخبر، كقوله تعالى: وما محمد إِلا رسولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرسلُ (٥)، وقوله: محمد رسولُ اللهِ (٦)، وقوله: ومبشرا بِرسولٍ يأْتِي مِن بعدِي اسمه أَحمد (٧)، ولم تكن بالنداء، وإنما جاء نداءه مع الوصف، وهو ما نتحدث عنه، ومن نداء الأنبياء، قوله تعالى: قَالَ يا نُوح إِنه لَيس مِن أَهلِك إِنه عملٌ غَير صالِحٍ (٨)، وقوله: يا إِبراهِيم أَعرِض عن هذَا إِنه قَد جاء أَمر ربك (٩)، وقوله: يوسفُ أَعرِض عن هذَا (١٠)، وقوله: قَالَ أَلْقِها يا موسى (١١)، وقوله: إِذْ قَالَ اللّه يا عِيسى إِني متَوفيك ورافِعك إِلَي (١٢)، كما ورد النداء لغيرهم من الأنبياء كصالح، ولوط، وشعيب، عليهم السلام، وهذا فيه من الدلائل العظيمة، والأسرار الجمة الشيء الكثير، وهو ما يتم بيانه بإذن الله تعالى في ثنايا البحث.

لقد اصطفى الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ، وأعلى قدره، وعظّم منـزلته، وفضله على خلقه، وخصه بفضائل لم تكن لغيره، وكرمه بخصائص انفرد بها صلى الله عليه وﷺ سلم عن غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهي كثيرة جداً، لا يتسع المجال في هذا البحث لحصرها، ولعلي أذكر بعض ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

١. أن الله عز وجل أخذ العهد له على جمع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إن بعث هو عليه الصلاة والسلام وهم أحياء أو أحد منهم وجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه، وأن يأخذوا هذا العهد على جميع أممهم إن بعث عليه الصلاة والسلام وجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (١٣).

٢. أنه عليه الصلاة والسلام أول المسلمين وخاتم النبيين، قال تعالى: قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٤) وقال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (١٥).

٣. كونه عليه الصلاة والسلام منة الله عز وجل على عباده، فلا هداية لهم إلا على يديه وعن طريقه الداعي إليه، قال تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ .(١٦).

٤. أن طاعته ومبايعته عليه الصلاة والسلام هي طاعة الله عز وجل ومبايعته، وقرن بين طاعته سبحانه وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، وجعل اتباعه عليه الصلاة والسلام موجباً لمحبته سبحانه، والأدلة على هذا كثيرة، منها قوله تعالى: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (١٧) وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (١٨).

٥. أن الإيمان به عليه الصلاة والسلام مقرون بالإيمان بالله تعالى، فلا يصح إيمان من لم يؤمن برسول الله ﷺ وإن ادعى الإيمان بالله تعالى، بل لا بد من وجود الإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله ﷺ، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ .(١٩)، وقال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا .[٢٠]، وقال تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢١).

٦. أن الله جعله رحمة مهداة للعالمين مؤمنهم وكافرهم، كما جعله رؤوفاً رحيماً بأمته خاصة، قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٢٢)، وقال تعالى: لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٣).

٧. أن الله عز وجل جعل وجوده عليه الصلاة والسلام بين أمته أمنةً لهم من العذاب والهلاك، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة إذ عذّب بعضهم وأُهلِك آخرون مع وجود أنبيائهم، قال تعالى: وما كان اللّه لِيعذبهم وأَنتَ فِيهم وما كان اللّه معذبهم وهم يستَغْفِرون (٢٤).

٨. أن الله عز وجل جعل رسالته عليه الصلاة والسلام عامة لكل الناس، بخلاف ما كان عليه الأنبياء والرسل السابقون عليهم وعليه الصلاة والسلام، فقد كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة، قال تعالى: وما أَرسلْنَاك إِلا كافةً للناس بشِيرا ونَذِيرا (٢٥)، وقال تعالى: تَبارك الذِي نَزلَ الْفُرقان علَى عبدِهِ لِيكُون لِلْعالَمِين نَذِيرا (٢٦).

٩. أن الله عز وجل تكفل بحفظه وعصمته، كما كفاه المستهزئين فلا يصلون إليه، وتكفل أيضاً بحفظ دينه من التبديل والتحريف، ليكون باقياً سليماً معجزاً، قال تعالى: يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك وإِن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رِسالَته واللّه يعصِمك مِن الناسِ (٢٧)، وقال تعالى: فَاصدع بِما تُؤْمر وأَعرِض عن الْمشْرِكِين ، إِنا كَفَينَاك الْمستَهزِئِين (٢٨)، وقال تعالى: إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافِظُون (٢٩).

١٠. القسم بحياته، ولا يعرف هذا لغيره من الأنبياء، قال تعالى: لَعمرك إِنهم لَفِي سكْرتِهم يعمهون (٣٠). كما أن الله تعالى أقسم له ﷺ وهذا غاية التعظيم والتقدير، قال تعالى: والضحى ، والليل إِذَا سجى ، ما ودعك ربك وما قَلَى ، ولَلْآخِرةُ خَير لك مِن الْأُولَى ، ولَسوفَ يعطِيك ربك فَتَرضى .(٣١). وقال سبحانه: والنجمِ إِذَا هوى ، ما ضل صاحِبكُم وما غَوى ، وما ينطِقُ عن الْهوى ، إِن هو إِلا وحي يوحى (٣٢).

١١- أن الله عز وجل غفر له عليه الصلاة والسلام ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو حي صحيح يمشي على الأرض، قال تعالى: إِنا فَتَحنَا لَك فَتْحا مبِينًا ، لِيغْفِر لَك الله ما تَقَدم مِن ذَنبِك وما تَأَخر ويتِم نِعمتَه علَيك ويهدِيك صِراطًا مستَقِيما ، وينصرك الله نَصرا عزِيزا .(٣٣).

١٢- شهادة الله عز وجل وملائكته له ﷺ أنه أنزل عليه الكتاب بالحق وأنه المرسل للناس كلهم، كما قال تعالى : لَكِنِ اللّه يشْهد بِما أَنزلَ إِلَيك أَنزلَه بِعِلْمِهِ والْملآئِكَةُ يشْهدون وكَفَى بِاللّهِ شَهِيدا (٣٤)، وقال تعالى: هو الَّذِي أَرسلَ رسولَه بِالْهدى ودِينِ الْحق لِيظْهِره علَى الدين كُلِّهِ وكَفَى بِاللهِ شَهِيدا (٣٥).

١٣. أن الله عز وجل لم يناده باسمه كما نادى غيره من الأنبياء، وإنما ناداه بوصفه الشريف(الرسول)، أو (النبي)، أو ما هو مشتق من حالته التي كان عليها وهما (المزمل)، (المدثر).

وهذا هو محل الدراسة في هذا البحث، لبيان دلالات الآيات التي تضمنت نداء الله عز وجل إياه وكشف أسرارها المعجزة، وما اشتملت عليه من نكات بلاغية ولطائف بيانية وأسرار أسلوبية.

المبحث الأول: النداء في القرآن الكريم وأسراره البلاغية

للنداء مكانة بارزة في اللغة، فله دوره في الحياة البشرية ووظيفته في التواصل بين الناس، إما للحوار بينهم وإما لأغراض أخرى تفهم من السياق. وافتتاح الكلام بالنداء دليل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعد نفسه ويهيئُها لتلقي ما يقال له، فهو طلب إقبال المخاطب، وإن شئت فقل: دعوة مخاطب بحرف نائب مناب فعل، كـ (أدعو)، أو (أنادي)(٣٦).

وتعريفه_كما يقول النحويون_ "هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء، ملفوظاً كان حرف النداء أو ملحوظاً"(٣٧).

وأسلوب النداء يعده علماء البلاغة من الإنشاء الطلبي، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، وحصروا أنواعه في خمسة هي : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء(٣٨).

وحروفه ثمانية : (يا)، والهمزة كـ (أمحمد)، و(أي)، و(آي)، و(أيا)، و(هيا)، و(وا)، والهمزة الممدودة (آ) كـ (آمحمد).

وهذه الأدوات تنقسم قسمين اثنين، قسم لنداء القريب، وقسم لنداء البعيد، فالقسم الأول يتمثل في الهمزة، و(أي)، والباقي يستعمل في نداء البعيد(٣٩).

و(يا) أكثر حروف النداء استعمالاً، ولهذا قيل: إنها مشتركة بين نداء البعيد والقريب، وقد ذكر بعض العلماء أنه لم يأت في القرآن نداء بغير يا، ولذلك لا يقدر غيرها من حروف النداء عند الحذف، قال ابن إياز : "القرآن المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه نداء بغير (يا) "(٤٠)، وذكر نحوه ابن هشام(٤١).

ويرى المطعني أن السر في إيثار القرآن لحرف النداء (يا) هو "أن هذه الأداة تكون الوسيلة الطبيعية في النداء، إذ هي أكثرها استعمالا عند الخاصة والعامة، ولأنها أم الباب، ولأنها أخف أحرف النداء في النطق، لأنها تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد، لانطلاق اللسان بها دون أن يستأنف عملاً. أما الأربع الأُخر، وهي:

الهمزة، وأيا، وهيا، وأي، فإن كلاً منها يبدأ بحرف من حروف الحلق، وهي أثقل الأصوات نطقاً"(٤٢).

وقد ذكر محمد عبدالخالق عضيمة أنه بعد استقراء الآيات التي ورد فيها النداء ظهر له ما يأتي:

١. نادى الله تعالى جميع أنبيائه ورسله بأسمائهم، ونادى نبينا محمداً ﷺ بوصفه الشريف، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر .

٢.المنادى المضاف هو أكثر الأنواع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: يا أَهلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُم (٤٣).

٣. جاء نداء النكرة المقصودة في بضع مواضع، كقوله تعالى: يا أَرض ابلَعِي ماءكِ ويا سماء أَقْلِعِي (٤٤)، أما نداء النكرة غير المقصودة فقد جاء في موضع واحد على الاحتمال، وكذلك نداء الشبيه بالمضاف جاء في موضع واحد على الاحتمال، وهو قوله تعالى: يا حسرةً علَى الْعِبادِ ما يأْتِيهم من رسولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يستَهزِؤُون (٤٥)، فإنه محتمل لهما ولغيرهما.

٤. الكثير في القرآن حذف (يا) مع نداء (رب)، وقد ذكرت (يا) في موضعين، هما قوله تعالى: وقَالَ الرسولُ يا رب إِن قَومِي اتخَذُوا هذَا الْقُرآن مهجورا (٤٦)، وقوله تعالى: وقِيلِهِ يارب إِن هؤُلَاء قَوم لا يؤْمِنُون (٤٧)، وحذفت (يا) في نداء الرب في خمسة وستين موضعاً.

٥. وقع المنادى بالياء في أثناء الجملة وفي ختامها، كقوله تعالى: وتُوبوا إِلَى اللهِ جمِيعا أَيها الْمؤْمِنُون لَعلكُم تُفْلِحون (٤٨)، وكقوله تعالى: قَالَ فَما خَطْبك يا ساٰمِري (٤٩)" (٥٠).

وإذا تأملت ما ذكره علماء البلاغة والبيان عن النداء ومعانيه البلاغية، وأسراره البيانية، يتبين أن في النداء وجوهاً بلاغية وأسراراً بيانية من ذلك:

١- أن في النداء إقامة علاقة مع شخص آخر، إما للحوار معه وإما لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام.

٢- أن فيه حثاً على الاهتمام بموضوع الكلام ودعوة للتبصر فيه، ما يعطي المضمون قيماً رمى إليها المنادي، قال العز بن عبدالسلام: "النداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء في القرآن"(٥١).

٣- أن فيه توجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام به.

٤- أن فيه ضرباً من الإيجاز واختصاراً للكثير من الكلام.

٥- أن فيه تلويناً للكلام والتفاتاً بليغاً يرغب في استمالة المخاطب، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع(٥٢).

ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن ذلك:

١. إظهار التحسر والتوجع، كقوله تعالى: أَن تَقُولَ نَفْسٌ يا حسرتَى علَى ما فَرطتُ فِي جنبِ اللهِ وإِن كُنتُ لَمِن الساخِرِين (٥٣)، وقوله: قَالُواْ يا حسرتَنَا علَى ما فَرطْنَا فِيها (٥٤).

٢. التعجب، ومنه قول طرفة بن العبد:

يا لكِ من قُبرةٍ بِمعمرِ   خلا لك الجو فبيضي واصفري(٥٥)

٣. الإهانة، كقوله تعالى: ثُم إِنكُم أَيها الضالون الْمكَذبون (٥٦).

٤. إظهار الشفقة والعطف، كقوله تعالى: وإِذْ قَالَ موسى لِقَومِهِ يا قَومِ لِم تُؤْذُونَنِي وقَد تعلَمون أَني رسولُ اللهِ إِلَيكُم (٥٧).

٥. الندبة، ومنه قول المتنبي:

وا حر قلبـ ـاه ممن قلبه شَبِم   ومن بجسمي وحالي عنده سقَم(٥٨)

٦. التأنيس والتلاطف، كقوله تعالى: يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر .

المبحث الثاني: أوصاف نداء الرسول ﷺ

إذا تأملنا كتاب الله تعالى، وتتبعنا نداء الله تعالى لرسوله، وجدنا أن أوصاف هذا النداء تختلف، فتارة تأتي بصفة الرسالة، وتارة بصفة النبوة، وتارة بصفات أخرى كصفة التزمل أو التدثر، وإليك بيان تلك الآيات، متوجاً ذلك بما أراه مناسباً من تعليقات وملاحظات بعض المفسرين، في تفسير الآيات.

هذا وقد ورد النداء للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً، وسنفصل القول في ذلك بإذن الله تعالى في المبحث الثالث.

أولاً: النداء بصفة الرسالة:

جاء في آيتين:

١. قال تعالى: يا أَيها الرسولُ لا يحزنك الذِين يسارعون فِي الْكُفْرِ مِن الذِين قَالُواْ آمنا بِأَفْوَاهِهِم ولَم تُؤْمِن قُلُوبهم ومِن الذِين هِادواْ سماعون لِلْكَذِبِ سماعون لِقَومٍ آخَرِين لَم يأْتُوك يحرفُون الْكَلِم مِن بعدِ مواضِعِهِ يقُولُون إِن أُوتِيتُم هذَا فَخُذُوه وإِن لَم تُؤْتَوه فَاحذَرواْ ومن يرِدِ اللّه فِتْنَتَه فَلَن تَملِك له مِن اللّهِ شَيئًا أُولَئِك الذِين لَم يرِدِ اللّه أَن يطَهر قُلُوبهم لَهم فِي الدنْيا خِزي ولَهم فِي الآخِرةِ عذَاب عظِيم))(٥٩)

٢. قال تعالى: يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك وإِن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رِسالَتَه واللّه يعصِمك مِن الناسِ إِن اللّه لاَ يهدِي الْقَوم الْكَافِرِين (٦٠).

ثانياً: النداء بصفة النبوة:

جاء ذلك في ثلاث عشرة آية :

١. قوله تعالى: يا أَيها النبِي حسبك اللّه ومنِ اتبعك مِن الْمؤْمِنِين (٦١)،

٢. قوله تعالى: يا أَيها النبِي حرضِ الْمؤْمِنِين علَى الْقِتَالِ إِن يكُن منكُم عِشْرون صابِرون يغْلِبواْ مِئَتَين وإِن يكُن منكُم مئَةٌ يغْلِبواْ أَلْفًا من الذِين كَفَرواْ بِأَنهم قَوم لا يفْقَهون (٦٢).

تكرر النداء مرة أخرى في سورة الأنفال لنبينا صلى الله ﷺ وسلم ، تكريماً له ورفعة لقدره، وللتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء، وإظهاراً لكمال الاعتناء بشان المأمور به، وهو المبالغة في الحث على القتال(٦٣)، قال الراغب : "التحريض: الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه"(٦٤).

٣. قال تعالى: يا أَيها النبِي قُل لمن فِي أَيدِيكُم من الأَسرى إِن يعلَمِ اللّه فِي قُلُوبِكُم خَيرا يؤْتِكُم خَيرا مما أُخِذَ مِنكُم ويغْفِر لَكُم واللّه غَفُور رحِيم (٦٥).

هذه الآية والتي تليها: وإِن يرِيدواْ خِيانَتَك فَقَد خَانُواْ اللّه مِن قَبلُ فَأَمكَن مِنْهم واللّه علِيم حكِيم متممتان للكلام في أسرى بدر، إذ أمر النبي ﷺ أن يرغبهم في الإسلام وبيان ما فيه من خيري الدنيا والآخرة، وبتهديدهم وإنذارهم عقاب بقائهم على الكفر وخيانته ﷺ، ويتضمن ذلك البشارة بحسن العاقبة والظفر له ولمن اتبعه من المؤمنين(٦٦).

٤. قال تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٦٧).

في هذه الآية يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين مع الغلظة والشدة عليهم وعدم اللين معهم، وسبب أمره ﷺ بهذا لأنه جبل على الرحمة والرأفة بالأمة، فأمر بأن يتخلى عن جبلته في حق الكفار والمنافقين، وأن لا يغضي عنهم ويتسامح معهم كما كان شأنه من قبل، وجمع في الآية جهاد هاتين الفئتين لإلقاء الرعب في الكفار والمحاربين، فيكون ذلك قاطعاً لدابرهم ومستأصلاً لشوكتهم(٦٨).

٥. قال تعالى: يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (٦٩).

في هذه الآية نداء من الله عز وجل لنبيه ﷺ بوصفه الشريف (النبي) وترك ندائه باسمه كرامة له وتشريفاً وإعلاء لمحله وتنويهاً بفضله وجلالة قدره عليه الصلاة والسلام، ولأن مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق بخلاف الإخبار عنهم(٧٠).

وهذا هو النداء الأول في هذه السورة، افتتح به؛ لأن غرضه والمراد منه هو الأصل، حيث تضمن الأمر بالتقوى وواجب تأدية رسالة ربه على أكمل وجه، دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله، سيراً على منهج الله مع التوكل عليه وحده، وما بعده من النداءات الأربعة مندرجة أغراضها في هذا الغرض الأساس(٧١).

٦. قال تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٧٢).

ذكر الرازي وجه تعلق هذا النداء بما قبله من النداء الأول، وهو "أن مكارم الأخلاق منحصرة في شيئين، التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله ... ثم إن الله تعالى لما أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب الشفقة، وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة، ولهذا قدمهن في النفقة (٧٣).

وافتتاح هذه الأحكام بنداء النبي ﷺ بـ يا أيها النبي تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوة ومقام الرسالة (٧٤).

٧. قال تعالى : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٧٥).

٨. قال تعالى : يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٧٦).

٩. قال تعالى : يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٧٧).

١٠. قال تعالى: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (٧٨).

١١. قال تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا (٧٩).

١٢. قال تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (٨٠).

١٣. قال تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٨١).

ثالثاً: النداء بصفات أخرى:

أولاً: المزمل: قال الله تعالى : يا أيها المزمل ، قم الليل إلا قليلا (٨٢).

ثانياً: المدثر: قال الله تعالى : يا أيها المدثر ، قم فأنذر (٨٣).

المبحث الثالث: السياق الذي ورد فيه النداء

إذا تتبعنا الآيات التي ورد فيها النداء في كتاب الله تعالى لاحظنا أنه يعقب في الغالب إما بأمر، أو نهي، أو استفهام، وهذا ما يجعل النفس تتهيأ لتلقي ما يلقى إليها، وهذا من المعاني التي تظهر في أسلوب النداء، فهو يوقظ النفس، ويلفت الذهن، وينبه الغافل، لقبول ما يلقيه المتكلم، وفي مجيء تلك الصيغ عناية واهتمام المتكلم بالطلب الذي أراد التأكيد عليه، والقرآن الكريم يزخر بالكثير من الآيات في هذا الخصوص، فمن الأمر قوله

تعالى:. يا أيها الناس اعبدواْ ربكُم الذِي خَلَقَكُم والذِين مِن قَبلِكُم لَعلكُم تَتقُون (٨٤)، ومن النهي قوله تعالى: يا أيها الذِين آمنُوا لَا يسخَر قَوم من قَومٍ (٨٥)، ومن الاستفهام قوله تعالى: يا أيها الذِين آمنُوا هلْ أَدلكُم علَى تِجارةٍ تُنجِيكُم من عذَابٍ أَلِيمٍ (٨٦).

وإذا تأملت الآيات السابقة في المبحث السابق وجدت أن عشرة مواضع جاءت عقب النداء بالأمر، بـ (بلّغ، حرض، قل، جاهد، اتق، قم)، بينما في موضعين جاء النهي عقب النداء (لا يحزنك)، وفي موضع آخر جاء ورد النهي معطوفاً على الأمر في قوله: يا أيها النبِي اتقِ الله ولَا تُطِعِ الْكَافِرِين والْمنَافِقِين [٨٧]، وفي موضع واحد جاء بالاستفهام يا أيها النبِي لِم تُحرم ما أَحل الله لَك [٨٨]، فهذه اثنا عشر موضعاً ورد فيه الأمر والنهي والاستفهام، وهي تؤكد الغرض الذي يطلبه النداء، ويقرره المعنى المراد، ولنا في ذلك وقفات في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

أما المواضع الخمسة المتبقية فإنها جاءت عقب النداء بصيغة الخبر، وهو ما يطلبه سياق الآيات، فقد جاءت آيتان منها بعد النداء بالجملة الشرطية، وهما قوله تعالى يا أيها النبِي إِذَا طَلَقْتُم النساء فَطَلِّقُوهن لِعِدتِهِن (٨٩)، وقوله: يا أيها النبِي إِذَا جاءك الْمؤْمِنَاتُ يبايِعنَك (٩٠)، وهما في شأن ذكر بعض أحكام النساء، فجرى السياق على ذلك، كما اشتملت الآية الثانية على بيان بيعة النساء النبي ﷺ، وقد تعددت مواضع ذلك، فوقع ذلك بعد فتح مكة، ووقع أيضاً في المدينة، وكان عليه الصلاة والسلام يتعاهد النساء بذلك بعد صلاة العيد وغيرها(٩١).

أما الآيات الثلاث الأخرى فهي: قوله تعالى: يا أيها النبِي حسبك اللّه ومنِ اتبعك مِن الْمؤْمِنِين [٩٢]، وقوله: يا أيها النبِي إِنا أَحلَلْنَا لَك أَزواجك اللاتِي آتَيت أُجورهن (٩٣)، وقوله: يا أيها النبِي إِنا أَرسلْنَاك شَاهِدا ومبشرا ونَذِيرا [٩٤]،.فالآية الأولى نداء جاء بوصف النبوة، وفيه إشعار برفعة قدره وعلو منزلته، واعتناء بمضمون الخطاب، وما يدل عليه من أوامر وتعاليم عظيمة، مهد لقبولها وتسهيلها بما سبق في السورة من التذكير بعجيب صنع الله والامتنان بعنايته برسوله والمؤمنين، وأن الفلاح والخير في طاعة الله عز وجل وطاعته(٩٥).

أما الآية الثانية فكما قال ابن عاشور: "نداء رابع خوطب به النبي ﷺ في شأن خاص به، هو بيان ما أحل له من الزوجات والسراري، وما يزيد عليه وما لا يزيد، مما بعضه تقرير لتشريع له سابق وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه يتساوى فيه النبي عليه الصلاة والسلام مع الأمة وبعضه خاص به، أكرمه الله بخصوصيته مما هو توسعة عليه، أو مما روعي في تخصيصه به علو درجته " (٩٦) .

أما آية سورة الأحزاب، فهذا هو النداء الثالث للنبي ﷺ في هذه السورة، فإن الله تعالى لما أبلغه بالنداء الأول : ما هو متعلق بذاته، وبالنداء الثاني : ما هو متعلق بأزواجه، ناداه بأوصاف أودعها سبحانه فيه تنويهاً بشأنه وزيادة رفعة في قدره، وبين له أركان رسالته، ذكر له هنا خمسة أوصاف هي : شاهد، مبشر، نذير، داع إلى الله، سراج منير، فهذه الأوصاف تنطوي على مجامع الرسالة، وعليها تقوم الدعوة إلى هذا الدين، ولذلك اقتصر عليها من بين أوصافه الكثيرة(٩٧).

المبحث الرابع: دلالات أوصاف النداء وأسرار إعجازها

حديثنا في هذا المبحث يقوم على جزأين، وهو النظر في الدلالات العامة التي تعتمد على السياق الذي ورد فيه الوصف، كما ينظر في سبب نزول الآية الذي يستدعي التعبير بذلك الوصف دون غيره من الأوصاف، والدلالات الخاصة وتقوم على النظر في دلالات الألفاظ التي جاء الوصف بها، وهي أربعة أوصاف، وأسرار التعبير بها دون غيرها، ومدلول تلك الأوصاف اللغوية، وأسراره البيانية.

الدلالات العامة:

وتقوم على النظر في الآيات التي بين أيدينا من خلال سياق الآيات، وكذلك في أسباب النزول، وفي ذلك ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: إذا تأملنا الآيات التي ورد فيها نداء النبي ﷺ نلحظ أن هناك معاني عامة يدور حولها موضوع الآيات، وهي كالآتي:

١- الأمر بإبلاغ الرسالة، وما يتعلق بها، كالحذر من معوقاتها،و بيان أركانها، وصفات المرسل بها، والمبايعة عليها، وقد جاء ذلك في أربع آيات، هي قوله تعالى: يا أيها الْمدثر ، قُم فَأنذِر (٩٨)، وقوله يا أيها النبِي إِذَا جاءك الْمؤْمِنَاتُ يبايِعنَك علَى أَن لا يشْرِكْن بِاللهِ شَيئًا ولَا يسرِقْن ولَا يزنِين ولَا يقْتُلْن أَولَادهن ولَا يأْتِين بِبهتَانٍ يفْتَرِينَه بين أَيدِيهِن وأَرجلِهِن ولَا يعصِينَك فِي معروفٍ فَبايِعهن واستَغْفِر لَهن الله إِن الله غَفُور رحِيم (٩٩)، وقوله: يا أيها النبِي إِنا أَرسلْنَاك شَاهِدا ومبشرا ونَذِيرا ، وداعِيا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِراجا منِيرا (١٠٠)، وقوله: يا أيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك وإِن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رِسالَتَه واللّه يعصِمك مِن الناسِ إِن اللّه لاَ يهدِي الْقَوم الْكَافِرِين (١٠١).

٢- الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، وبيان بعض أحكامه، والتصديق بوعد الله تعالى ونصره، وتأييده للنبي ﷺ، وقد جاء في خمس آيات، واحدة منها مكررة،

والآيات هي قوله تعالى: يا أَيها النبي جاهِدِ الْكُفار والْمنَافِقِين واغْلُظْ علَيهِم ومأْواهم جهنم وبِئْس الْمصِير (١٠٢)، وقوله: يا أَيها النبِي قُل لمن فِي أَيدِيكُم من الأَسرى إِن يعلَمِ اللّه فِي قُلُوبِكُم خيرا يؤْتِكُم خيرا مما أُخِذَ مِنكُم ويغْفِر لَكُم واللّه غَفُور رحِيم (١٠٣)، وقوله: يا أَيها النبِي حرضِ الْمؤْمِنِين علَى الْقِتَالِ إِن يكُن منكُم عِشْرون صابِرون يغْلِبواْ مِئَتَين وإِن يكُن منكُم مئَةٌ يغْلِبواْ أَلْفًا من الَّذِين كَفَرواْ بِأَنهم قَوم لاَّ يفْقَهون (١٠٤)، وقوله: يا أَيها النبِي حسبك اللّه ومنِ اتبعك مِن الْمؤْمِنِين (١٠٥).

٣- الأمر بالتقوى بمعناها الشامل، والأمر بالطاعات والقربات، والبعد عما يخالف التقوى، وذلك في ثلاث آيات، هي قوله تعالى: يا أَيها النبِي اتقِ اللَّه ولَا تُطِعِ الْكَافِرِين والْمنَافِقِين إِن اللَّه كَان علِيما حكِيما (١٠٦)، وقوله: يا أَيها الْمزملُ ، قُمِ اللَّيلَ إِلَّا قَلِيلًا (١٠٧)، وقوله: يا أَيها النبِي لِم تُحرم ما أَحلَّ اللَّه لَك تَبتَغِي مرضَاتَ أَزواجِك واللَّه غَفُور رحِيم (١٠٨).

٤- الأحكام المتعلقة بالنساء، وهي في أربعة مواضع، هي قوله تعالى: يا أَيها النبِي إِنا أَحلَلْنَا لَك أَزواجك اللَّاتِي آتَيت أُجورهن (١٠٩)، وقوله: يا أَيها النبِي قُل لِّأَزواجِك وبنَاتِك ونِساء الْمؤْمِنِين يدنِين علَيهِن مِن جلَابِيبِهِن (١١٠)، وقوله: يا أَيها النبِي إِذَا طَلَّقْتُم النساء فَطَلِّقُوهن لِعِدتِهِن (١١١)، وقوله: يا أَيها النبِي قُل لِّأَزواجِك إِن كُنتُن تُرِدن الْحياةَ الدنْيا وزِينَتَها فَتَعالَين أُمتِّعكُن وأُسرحكُن سراحا جمِيلًا (١١٢).

الوقفة الثانية: النداء بالوصف وليس بالاسم.

كما أوضحنا ذلك في التمهيد لهذا البحث، فإن نداء الرسول ﷺ لم يرد إلا بالوصف، ولم يأت باسمه الصريح إلا في عداد الخبر، وقد ورد في خمسة مواضع، أربعة منها باسم (محمد) وواحد باسم (أحمد)، وهذا من التشريف والتكريم له، والتنويه بفضله، وبيان منزلته عند ربه، صلوات ربي وسلامه عليه، وسنوضح ذلك في الدلالات الخاصة.

أما الإخبار عنه فقد يأتي بصفة الرسالة، أو بصفة الرسالة مع اسمه ﷺ، من ذلك، قوله تعالى: النبِي أَولَى بِالْمؤْمِنِين مِن أَنفُسِهِم (١١٣)، وقوله: وقَالَ الرسولُ يا رب إِن قَومِي اتخَذُوا هذَا الْقُرآن مهجورا (١١٤)،.ومن الإخبار مع وصف الرسالة، قوله تعالى: وما محمد إِلاَّ رسولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرسلُ (١١٥)، وقوله: ما كَان محمد أَبا أَحدٍ من رجالِكُم ولَكِن رسولَ اللَّهِ وخَاتَم النبِيين (١١٦).

كما جاء الإخبار عنه بوصف العبودية، يقول الله تعالى: وإِن كُنتُم فِي ريبٍ مما نَزلْنَا علَى عبدِنَا (١١٧)، عبر بلفظ العبودية دون اسمه ﷺ، أو بعض صفاته ، فهذا فيه

تشريف له، وغاية في رفعة قدره عليه السلام، لا سيما وأنه أضاف إليه (نا) الدالة على المتكلمين والمشعر بالتعظيم والتفخيم، وهذا فيه زيادة التشريف والمكانة، يقول أبو السعود: "وفي ذكره ﷺ بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل، وانقياده لأوامره تعالى ما لا يخفى"(١١٨).

ولعلك تسأل عن سبب إيثار نداء الرسول ﷺ بالوصف، ولم يأت ذلك مع الإخبار عنه؟ فقد أجاب جار الله الزمخشري بقوله: "فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء، فقد أوقعه في الإخبار، في قوله: محمد رسولُ اللهِ (١١٩)، وما محمد إلا رسولٌ ، قلت: ذاك لتعليم الناس أنه رسول الله، وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء، لَقَد جاءكُم رسولٌ من أَنفُسِكُم (١٢٠)، وقَالَ الرسولُ يا رب ، لَقَد كَان لَكُم فِي رسول اللهِ أُسوةٌ حسنَةٌ (١٢١)، واللّه ورسولُه أَحق أَن يرضوه (١٢٢)، النبِي أَولَى بِالْمؤْمِنِين مِن أَنفُسِهم .."(١٢٣).

وقد عقب الألوسي على كلام الزمخشري بأن النداء يناسب التعظيم، وربما يكون نداء سائر الأنبياء عليهم السلام في كتبهم أيضاً على نحو منه، وجاء القرآن بأسمائهم دفعاً للإلباس(١٢٤).

الوقفة الثالثة: سر التعبير في النداء بـ(يا أيها).

وهذا التعبير يرد كثيراً في كتاب الله تعالى، وقد تحدث عن هذا التركيب علماء النحو(١٢٥)، كما أنه ورد في كل الآيات التي جاءت في نداء النبي ﷺ، يوضح الزمخشري سر كثرة هذا التركيب في كتاب الله تعالى فيقول: " و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه، ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس، أو ما يجري مجراه، يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو (أي)، والاسم التابع له صفته، كقولك: (يا زيد الظريف)، إلا أن (أيا) لا يستقل بنفسه استقلال زيد، فلا ينفك من الصفة. وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها، لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه، أي: من الإضافة.

فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد، وأسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده

من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ"(١٢٦).

ويفرق الفخر الرازي بين (يا)، و(يا أيها)، فيقول: "قول القائل (يا رجل) يدل على النداء، وقوله: (يا أيها الرجل) يدل على ذلك أيضاً، وينبئ عن خطر خطب المنادى له، أو غفلة المنادى، ولأن قوله: (يا أي) جعل المنادى غير معلوم أولاً، فيكون كل سامع متطلعاً إلى المنادى، فإذا خص واحداً كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه، وإذا قال: (يا زيد) أو (يا رجل) لا يلتفت إلى جانب المنادي إلا المذكور، إذا علم هذا فنقول: (يا أيها) لا يجوز حمله على غفلة النبي ﷺ، لأن قوله: (النبي) ينافي الغفلة، لأن النبي ﷺ خبير، فلا يكون غافلاً، فيجب حمله على خطر الخطب"(١٢٧).

الدلالات الخاصة:

وهي تقوم على دراسة الأوصاف التي وردت بعد النداء، وأسرار التعبير بها، وما فيها من إعجاز لفظي، وسر بياني، وهي أربعة أوصاف: النداء بوصف الرسالة، والنداء بوصف النبوة، والنداء بالصفة المشتقة من حالته عليه السلام، وهي التزمل، والتدثر.

أولاً: النداء بوصف الرسالة

ورد النداء بوصف الرسالة في موضعين كما مر بنا في المبحث الثاني، وفي آيتين من سورة المائدة، وقد أتبعت الأولى بالنهي، فقال تعالى: يا أَيها الرسولُ لاَ يحزنك الَّذِين يسارعون فِي الْكُفْرِ (١٢٨)، والآية الثانية أتبعت بالأمر يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك (١٢٩)، والآيتان فيهما تشريف لرسول الله ﷺ، ورفعة لقدره، وبيان لعلو منزلته، فلم يأت النداء باسمه، وفيهما تعليم وتأديب للمؤمنين، كما يظهر النهي عن مخاطبته باسمه، والأمر بأن يخاطب بوصفه، وهو ما كان يدعوه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولما جهل هذا الأدب بعض الأعراب لما كانوا عليه من خشونة البادية وجفائها، فكانوا ينادونه باسمه محمد، أنزل الله تعالى قوله: لَا تَجعلُوا دعاء الرسول بينَكُم كَدعاء بعضِكُم بعضا (١٣٠).

يقول ابن عاشور عن قوله تعالى يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك : "وفي الإتيان بضمير المخاطب في قوله: إِلَيك مِن ربك إيماء عظيم إلى تشريف الرسول ﷺ بمرتبة الوساطة بين الله والناس، إذ جعل الإنزال إليه، ولم يقل إليكم أو

إليهم، كما في آية آل عمران: وإِن مِن أَهل الْكِتَابِ لَمن يؤْمِن بِاللَّهِ وما أُنزِلَ إِلَيكُم وما أُنزِلَ إِلَيهم (١٣١)، وقوله: لِتُبين لِلناسِ ما نُزلَ إِلَيهم (١٣٢)، وفي تعليق الإنزال بأنه من الرب تشريف للمنزل.."(١٣٣).

ويذكر على عبد الواحد وافي أن النداء في القرآن الكريم يتجه إلى الرسول ﷺ بصيغة (يا أيها الرسول) حين يكون الحديث عن رسالته العامة، أو عما يعترضها من معوقات، وذلك كما في هاتين الآيتين، ويتجه النداء بصيغة (يا أيها النبي) فيما عدا الحالين السابق ذكرهما، وذلك حينما يكون الغرض توجيه الرسول ﷺ في شأن عام أو خاص به وبأهله، وذلك في ثلاث عشرة آية(١٣٤).

ثانياً: النداء بوصف النبوة:

جاء النداء بوصف النبوة للنبي محمد ﷺ في ثلاثة عشر موضعاً من القرآن الكريم، وفي كل المواضع جاء النداء من الله عز وجل لنبيه ﷺ بوصفه الشريف (النبي)، وترك نداءه باسمه الصريح (محمد)، وذلك كرامة له وتشريفاً له، وإعلاء لمكانته، وتنويهاً بفضله، وجلالة قدره عليه السلام، ولأن مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق، بخلاف الإخبار عنهم، كما عبر عن ذلك الزمخشري، وأبو حيان، والألوسي(١٣٥).

فشتان بين التعبير بقول (يا محمد)، وقول (يا رسول الله)، أو (يا نبي الله)، فقد أمر الله تعالى المؤمنين ألا ينادوا الرسول ﷺ باسمه، كما ينادي بعضهم بعضاً، وتأمل قوله تعالى: لَا تَجعلُوا دعاء الرسول بينَكُم كَدعاء بعضِكُم بعضا (١٣٦)، فقد جاء في سبب نزول الآية، ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله. لَا تَجعلُوا دعاء الرسول بينَكُم كَدعاء بعضِكُم بعضا ، فقالوا يا نبي الله، يا رسول الله"١٣٧.

وقد أوضح العز بن عبد السلام أن "نداء النبي بالنبوة فيه فائدة التفخيم والإكرام، والحث على الطاعة والإذعان، شكراً لنعمة النبوة. والنداء بالرسالة فيه الفائدتان المذكورتان في النداء بالنبوة، مع التأكيد بذكر الرسالة، وهي من النعم الجسام، لأنها تستلزم النبوة وتحث على تبليغ الرسالة، فما أحسن قوله: يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك (١٣٨).

وسبق أن ذكرت ما أوضحه علي وافي الذي تأمل نداء الله تعالى لنبيه بصيغة (يا أيها)، فقد أوضح أن التعبير بصيغة (يا أيها النبي) يأتي حين يكون توجيه الرسول ﷺ في شأن عام، أو خاص به وبأهله، وذلك في ثلاث عشرة آية.

وإذا طبقنا ذلك على الآيات الواردة رأينا ذلك صحيحاً، فقد جاء في شأن الأحكام المتعلقة بالنساء خمس آيات، سواء الخاص بنساء الرسول ﷺ، أو بنساء المؤمنين ومبايعتهن، وجاء في أمر الجهاد خمس آيات، وفي أمره بتقوى الله تعالى، والنهي عن تحريم ما أحل جاءت آيتان.

وبقي قوله تعالى يا أَيها النبِي إِنا أَرسلْنَاك شَاهِدا ومبشرا ونَذِيرا ، وداعِيا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِراجا منِيرا (١٣٩)، وهو في أمر الرسالة، وهذا يخالف ما ذكر علي وافي، ولكن إذا تأملنا سياق الآيات المتقدمة في هذه السورة، وهي سورة الأحزاب، رأينا أن الآية تقتضي الأوصاف التي أودعها فيها تنويهاً بشأنه، وهي خاصة به ﷺ، فهذه الآية هي النداء الثالث للنبي ﷺ، وقبله نداء متعلق بذاته، ونداء آخر متعلق بأزواجه، وهذا هو النداء الثالث الذي فيه إخبار عن أركان رسالته عليه السلام، فذكر في الآية خمسة أوصاف: شاهد، ومبشر، ونذير، وداع إلى الله، وسراج منير، وقد سبق الحديث عن هذه الآية في المبحث الثالث.

ثالثاً: النداء بصفة مشتقة من حالته، وهي (المزمل):

قال الله تعالى : يا أَيها الْمزملُ ، قُمِ الليلَ إِلا قَلِيلًا .

افتتح خطاب النبي ﷺ في هذه السورة المكية بالنداء تنبيهاً وإعلاماً بأهمية وعظم شأن ما سيوجه إليه ويكلف القيام به، والمزمل اسم فاعل من تزمل، أي : تلفف في الثوب. والمزمل أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي، وبها قرأ أُبي (المتزمل) على الأصل(١٤٠).

في مستهل هذه السورة يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي والتلفف، وينهض للقيام لربه سبحانه ويستعد للأمر العظيم الذي كلف به وهو إبلاغ الرسالة للناس كافة، فالمزمل صفة له عليه الصلاة والسلام، اشتقاقاً من الحالة التي كان عليها، وليس اسماً من أسمائه، كما ظن السيوطي[١٤١].

ونداؤه عليه الصلاة والسلام بهذا الوصف يا أَيها الْمزملُ في هذا المقام يراد به تأنيسه وملاطفته والتودد إليه، وقد يعدل عن نداء الشخص باسمه إلى صفة متلبس بها إيناساً وملاطفة له لحذيفة رضي الله عنه : "قم أبا تراب" (١٤٢).

قال أبو القاسم السهيلي : "وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان :

إحداهما : الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة

رضي الله عنهما فأتاه وهو نائم، وقد لصق بجنبه التراب، فقال له : "قم يا أبا تراب"، وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضي الله عنه : "قم يا نومان"، وكان نائماً ملاطفة له وإشعاراً لترك العتب والتأنيب، فقول الله تعالى لمحمد ﷺ : يا أيها المزمل فيه تأنيس وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل، واتصف بتلك الصفة (١٤٣).

وذكر الطاهر بن عاشور أن "الأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف، أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء، من تعظيم أو تكريم نحو يا أيها النبي ، أو تلطف وتقرب نحو: يا بني، ويا أبت، أو قصد تهكم نحو : وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (١٤٤)، فإذا نودي المنادى بوصف هيئته من لبسة أو جلسة أو ضجعة كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، فنداء النبي بـ يا أيها المزمل نداء تلطف وارتفاق، ومثله قوله تعالى: يا أيها المدثر "(١٤٥).

وقد زعم الزمخشري أن النبي ﷺ لم يناد بذلك إلا تهجيناً للحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة، واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن، ثم استشهد على ذلك بأبيات قيلت ذماً في جفاة حفاة من الرعاء (١٤٦)، وعقّب ابن المنير بقوله: ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام فإنه يربأ بمقام النبي ﷺ عما قاله الزمخشري (١٤٧).

وأورد الألوسي في تفسيره رداً على من حاول الدفاع عن الزمخشري في توجيهه فقال : (ولا يخفى أنه لا يندفع به سوء أدب الزمخشري في تعبيره، فإنه تعالى وإن كان له أن يخاطب حبيبه بما شاء، لكنا نحن لا نجري على ما عامله سبحانه به، بل يلزمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم، ولو خاطب بعض الرعايا الوزير بما خاطبه به السلطان طرده الحجاب، وربما كان العقاب هو الجواب)(١٤٨).

رابعاً: النداء بصفة مشتقة من حالته عليه السلام وهي:(المدثر):

قال الله تعالى : يا أيها المدثر ، قم فأنذر (١٤٩). والمدثر اسم فاعل من تدثر، أي : لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الثوب الذي يلي الجسد، فالأصل المتدثر فأدغم التاء في الدال لتقاربهما في النطق، وبها قرأ أبي على الأصل (المتدثر)(١٥٠).

ونجد في سبب نزول الآية ذلك المعنى، فقد ثبت في الصحيحين عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال : يا أيها المدثر قلت : يقولون : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبدالله عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال : "جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت : دثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: فدثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: فنزلت: يا أيها المدثر ، قُم فَأَنذِر ، وربك فَكَبِّر "(١٥١).

فنودي النبي ﷺ بوصف مشتق من حاله التي كان عليها، تأنيساً له وملاطفة في الخطاب معه، ولم يناد باسمه ليستشعر اللطف والتكريم من ربه (١٥٢)، وقد سبق مثل هذا في الحديث عن ندائه بـ يا أيها المزمل .

وقوله: قُم فَأَنذِر قيل: المراد قم قيام عزم وتصميم ومبادرة وامتثال، وقيل : بل المعنى على الحقيقة فإنه كان مضطجعاً متدثراً بثوب أو رداء، ولا مانع أن يراد هنا المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي، الذي يحصل منهما القيام بهذا الأمر والنشاط فيه، وجاءت الفاء في قوله: فَأَنذِر لإفادة التعقيب للشروع في الإنذار المأمور به، ولم يقل هنا: وبشر؛ لأنه كان في ابتداء النبوة لأن غالب أحوال الناس يومئذ محتاجة إلى الإنذار والتحذير، أو هو من باب الاكتفاء لأن الإنذار يلزم منه ما يقابله وهو التبشير(١٥٣).

إضاءة:

ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى طه ، و يس ، وهما في افتتاح السورتين، اسم للنبي ﷺ، وفيهما اختلاف بين المفسرين، ويكونان على ذلك اسمين مناديين بحذف أداة النداء (يا)(١٥٤)، والقول الراجح في ذلك أنهما من الحروف المقطعة التي في أوائل السور، والتي جاءت في مطلع تسع وعشرين سورة في القرآن الكريم، وهي مما استأثر الله بعلمه، أما من يقول أنها معلومة المعنى فظاهر فيه التكلف، وليس لهم دليل على صحة ما ادعوه، وليسا من أسماء الرسول ﷺ (١٥٥).

يقول ابن القيم: أما ما يذكره العوام أن (يس)، و(طه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، وليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صحابي، وإنما هذه الحروف مثل: (آلم)، و(حم)، و(الر)(١٥٦)، ونحوها"(١٥٧).

الخـاتمـة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإلى هنا ينتهي بنا المطاف مع هذا البحث، والذي تناولت فيه دلالات أوصاف نداء الرسول ﷺ التي وردت في القرآن الكريم، وقد تحدثت بالتفصيل عن أسرار تلك الأوصاف العظيمة ومعجزاتها، وإني لأرجو أن أكون قدمت ما يفيد لما يخدم كتاب الله تعالى، ويفتح باباً لمعرفة أوسع لمكانة سيدنا وحبيبنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ومكانته في كتاب الله تعالى، وقد ظهر لي نتائج طيبة، من أبرزها:

١- أبان البحث عظم منزلة الرسول ﷺ عند ربه، وعلو وقدره، وشرف مكانته وأن الله تعالى امتن به على هذه الأمة، واختصه بفضائل تزيد من محبته وطاعته وتوقيره.

٢- أنه لم يأت في كتاب الله تعالى نداء مجرد باسمه الصريح، وإنما ناداه ربه بصفات تدل على شرفه وعلو منزلته، كما جاء النهي في ندائه كما ينادي الناس بعضهم بعضاً، ولذلك جاء النداء بوصفه بـ(الرسول) في موضعين، وبـ(النبي) في ثلاثة عشر موضعاً، كما جاء النداء بوصفين مشتقين من حالته التي كان عليها، وهما (المدثر)، و(المزمل)، تأنيساً له عليه أفضل الصلاة والسلام، وفيه إشارة إلى أن الراجح في (يس)، و(طه)، أنهما من الحروف المقطعة التي استأثر الله تعالى بعلمها.

٣- أظهر البحث دلالات النداء في القرآن الكريم، والأساليب والمعاني التي يخرج إليها النداء، كما أظهر سر إيثار التعبير بـ(يا) دون غيرها في القرآن الكريم، ولا سيما في نداء الرسول ﷺ.

٤- أوضح البحث أن الغالب في كتاب الله تعالى بعد النداء الإتيان بالأمر أو النهي أو الاستفهام، وفي ذلك تهيئة للنفس لتلقي ما تنادى به، وقد ورد في نداء الرسول ﷺ الأمر كثيراً، وبعده النهي، وبعده الاستفهام، كما جاء النداء بالوصف في سياق الخبر لمراعاة السياق الوارد في الآيات.

٥- أبان البحث أن التعبير بصفة الرسالة يأتي حين يكون الحديث عن رسالته العامة، أو ما يعترضها من معوقات، أما التعبير بصفة النبوة فيكون إذا كان الحديث في شأن عام، أو خاص به وبأهله، ﷺ.

٦- أثبت البحث أن السياق الوارد، وسبب النزول له أثره في بيان سر التعبير بتلك الصفات وبيان أسرارها البيانية، إعجازها اللفظي.

٧- أظهر التحليل في البحث أن المعاني التي تضمنها نداء الرسول ﷺ في القرآن الكريم لا تخرج عن أربعة أمور، إبلاغ الرسالة وما يتعلق بها، والحث على الجهاد في سبيل الله تعالى وما يتصل به، والأمر بتقوى الله تعالى، وبيان بعض الأحكام المتعلقة بالنساء.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦

(٢) سورة غافر، آية: ٧٨.

(٣) سور الأحزاب، آية: ٧.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ط١، بيروت ١٤٠٧هـ.، والآيات في سورة: آل عمران آية: ١٤٤، وسورة: الأحزاب آية: ٤٠ وسورة: محمد، آية:٢، وسورة: الفتح، آية: ٢٩، وجاء لفظ أحمد في سورة الصف، آية: ٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٦) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٧) سورة الصف، آية : ٦.

(٨) سورة هود، آية: ٤٦.

(٩) سورة هود، آية: ٧٦.

(١٠) سورة يوسف، آية: ٢٩.

(١١) سورة طه، آية: ١٩.

(١٢) سورة آل عمران ، آية: ٥٩.

(١٣) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(١٤) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(١٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(١٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(١٧) سورة النساء، الآية ٨٠.

(١٨) سورة الفتح، الآية ١٠.

(١٩) سورة النساء. الآية ١٣٦.

(٢٠) سورة الحجرات، الآية ١٥.

(٢١) سورة التغابن، الآية ٨.

(٢٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٢٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢٤) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

(٢٥) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٢٦) سورة الفرقان، الآية ١.

(٢٧) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢٨) سورة الحجر، الآيتان ٩٤ ، ٩٥.

(٢٩) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣٠) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٣١) سورة الضحى، الآيات: ١-٥.

(٣٢) سورة النجم، الآيات: ١-٤.

(٣٣) سورة الفتح، الآيات: ١-٣.

(٣٤) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٣٦) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، لفضل حسن عباس، دار الفرقان، ط٢،الأردن، ١٩٨٩م: ١٦٢.

(٣٧) انظر: شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م: ١٦٣/٢.

(٣٨) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤م : ٢٢٧، والمطول المطول لسعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٣٠هـ: ٢٢٤ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، (د.ت)، بيروت : ٣٢/٢ .

(٣٩) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ١٦٣.

(٤٠) انظر: الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط١، (د.م)، ٢٠٠١م: ١٣١/٢.

(٤١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ: ١٣/١.

(٤٢) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، ١٤١٣هـ: ٨/٢.

(٤٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٤٤) سورة هود، الآية ٤٤.

(٤٥) سورة يس، الآية ٣٠.

(٤٦) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

(٤٧) سورة الزخرف، الآية ٨٨.

(٤٨) سورة النور، الآية ٣١.

(٤٩) سورة طه، الآية ٩٥.

(٥٠) دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة الإحسان، مصر، القاهرة، (د.ت): ٣/١، ٦٢٤، ٦٢٥.

(٥١) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رمزي دمشقية، دار البشائر، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ: ٣٣٣.

(٥٢) انظر: النداء في اللغة والقرآن، لأحمد فارس، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٩م: ١٦٠،١٦١.

(٥٣) سورة الزمر، آية: ٥٦.

(٥٤) سورة الأنعام، الآية ٣١.

(٥٥) ديوان طرفة، شرح مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤٦، والبلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: ١٦٦

(٥٦) سورة الواقعة، الآية ٥١.

(٥٧) سورة الصف، الآية ٥.

(٥٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت: ٣٦٢/٣، والبلاغة فنونها وأفنانها: ١٦٧.

(٥٩) سورة المائدة، الآية ٤١.

(٦٠) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٦١) سورة الأنفال، الآية ٦٤.

(٦٢) سورة الأنفال، الآية ٦٥.

(٦٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، عناية: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ: ٣٠/١٠، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ٦٦/١٠.

(٦٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني، تحقيق:محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٠م: ١١٣.

(٦٥) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٦٦) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ: ٢١١/١٩٩٠١٥.

(٦٧) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٦٨) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٦/١٠، ٢٦٧.

(٦٩) سورة الأحزاب، الآية ١.

(٧٠) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط الأخيرة، ١٣٩٢هـ: ٢٤٨/٣، البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ: ٢١٠/٧، روح المعاني ١٤٣/٢١.

(٧١) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٤٩/٢١، ٢٥٠.

(٧٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٧٣) التفسير الكبير ٢٠٦/٢٥، وانظر: روح المعاني ١٨٢/٢١.

(٧٤) انظر: التحرير والتنوير ٣١٥/٢١.

(٧٥) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٧٦) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

(٧٧) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(٧٨) سورة الممتحنة، الآية ١٢.
(٧٩) سورة الطلاق، الآية ١.
(٨٠) سورة التحريم، الآية ١.
(٨١) سورة التحريم، الآية ٩.
(٨٢) سورة المزمل، الآيتان ٢،١.
(٨٣) سورة المدثر، الآيتان ١،٢.
(٨٤) سورة البقرة، آية: ٢١.
(٨٥) سورة الحجرات، آية: ١١.
(٨٦) سورة الصف، آية: ١٠.
(٨٧) سورة الأحزاب، آية: ١.
(٨٨) سورة التحريم، آية:١.
(٨٩) سورة الطلاق، آية:١.
(٩٠) سورة الممتحنة، آية: ١٢.
(٩١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط:٢، ١٤١٠هـ: ٤/٣٥٢-٣٥٦.
(٩٢) سورة الأنفال، آية: ٦٤.
(٩٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٠.
(٩٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.
(٩٥) انظر: روح المعاني ١٠/٣٠، التحرير والتنوير ١٠/٦٥.
(٩٦) التحرير والتنوير ٢٢/٦٢.
(٩٧) انظر: نفسه، ٢٢/٥٢.
(٩٨) سورة المدثر، آية: ٢،١.
(٩٩) سورة الممتحنة، آية: ١٢.
(١٠٠) سورة الأحزاب، آية: ٤٦،٤٥.
(١٠١) سورة المائدة، آية: ٦٧.
(١٠٢) سورة التوبة: ، آية: ٧٣، وسورة التحريم، آية:٩.
(١٠٣) سورة الأنفال، آية: ٧٠.
(١٠٤) سورة الأنفال، آية: ٦٥.
(١٠٥) سورة الأنفال، آية: ٦٤.
(١٠٦) سورة الأحزاب، آية: ١.
(١٠٧) سورة المزمل، آية: ٢،١.
(١٠٨) سورة التحريم، آية: ١.
(١٠٩) سورة الأحزاب، آية: ٥٠.
(١١٠) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.
(١١١) سورة الطلاق، آية: ١.
(١١٢) سورة الحجرات، آية: ١١.
(١١٣) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(١١٤) سورة الفرقان، آية: ٣٠.
(١١٥) سورة آل عمران، آية ١٤٤.
(١١٦) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.
(١١٧) سورة البقرة، آية: ٢٣.
(١١٨) تفسير تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايـا القرآن الكريم) لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٦٤/١.
(١١٩) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(١٢٠) سورة التوبة، آية: ١٢٨.
(١٢١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.
(١٢٢) سورة التوبة، آية: ٦٢.
(١٢٣) الكشاف: ٢٤٨/٣.
(١٢٤) انظر: روح المعاني: ١٤٣/٢١.
(١٢٥) انظر: مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ: ٧٨/١.
(١٢٦) الكشاف: ٢٢٥/١-٢٢٦.
(١٢٧) التفسير الكبير: ١٩٠/٢٥.
(١٢٨) سورة المائدة، آية: ٤١.
(١٢٩) سورة المائدة، آية: ٦٧.
(١٣٠) سورة النور، آية: ٦٣، وانظر: التفسير الكبير: ٢٣٨/١١.
(١٣١) سورة آل عمران، آية: ١٩٩.
(١٣٢) سور النحل، آية: ٤٤.
(١٣٣) التحرير والتنوير: ٢٥٩/٦.
(١٣٤) انظر: "نداء المخاطبين في القرآن وأسراره البلاغية"لعلي عبد الواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، العدد الثامن، ١٣٩٨، جامعة الإمام، الرياض:٨٥-٩١.
(١٣٥) انظر: الكشاف: ٢٤٨/٣، والبحر المحيط: ٢١٠/٧، وروح المعاني: ١٤٣/٢١.
(١٣٦) سورة النور، آية: ٦٣.
(١٣٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م: ٢٣٠/٦.
(١٣٨) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ٣٣٣.
(١٣٩) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥، ٤٦.
(١٤٠) انظر: البحر المحيط ٣٦٠/٨.
(١٤١) انظر: الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة للحافظ السيوطي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م: ٢٣٨.
(١٤٢) رواه مسلم في صحيحه –كتاب الجهاد والسير- باب غزوة الأحزاب ١٧٧/٥.
(١٤٣) التعريف والإعلام: ١٧٨.
(١٤٤) سورة الحجر، الآية ٦.
(١٤٥) التحرير والتنوير ٢٥٥/٢٩-٢٥٦.

(١٤٦) انظر: الكشاف ١٧٤/٤.

(١٤٧) انظر: حاشيـة ابن المنير على الكشاف (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) لناصر الدين أحمد بن المنير، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٢هـ ١٧٤/٤.

(١٤٨) روح المعاني ١٠١/٢٩.

(١٤٩) سورة المدثر، الآيتان ١،٢.

(١٥٠) انظر: البحر المحيط ٣٧٠/٨.

(١٥١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المثر:٦٧٦،٦٧٧/٨، برقم ٤٩٢٢، ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ : ٢٠٧/٢-٢٠٨.

(١٥٢) انظر: روح المعاني ١٦٦/٢٩، والتحرير والتنوير ٢٩٤/٢٩، ٢٩٥.

(١٥٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٩٤/٢٩، ٢٩٥.

(١٥٤) انظر: التفسير الكبير: ٢٢/٣، والتحرير والتنوير: ١٨٣/١٦، فقد أوردا كثيراً من الأقوال.

(١٥٥) انظر: البحر المحيط: ٢٤٤/٦، والتحرير والتنوير: ١٨٣/١٦.

(١٥٦) وردت (آلم) في أوائل سورة: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، (المص) في الأعراف، و(الر) في يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، و(آلمر) في الرعد، و(كهيعص) في مريم، و(طسم) في الشعراء، والقصص، و(طس) في النمل، و(ص) في سورة ص، و(حم) في كل من: غافر، وفصلت، والشورى والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، و(ق) في سورة ق، و(ن) في سورة ن.

(١٥٧) تحفة الودود بأحكام المولود، لابن القيم، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت: ١١٦.

المصادر والمراجع

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رمزي دمشقية، دار البشائر، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط١، (د.م)، ٢٠٠١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤م.
- البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ.
- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني لفضل حسن عباس، دار الفرقان، ط٢،الأردن، ١٩٨٩م
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، (د.ت)، بيروت.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تحفة الودود بأحكام المولود، لابن القيم، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت (د.ت).
- التعريف والإعـلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، للسهيلي، تحقيق: عبد مهنا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ، بيروت.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ،١٩٩٠.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط:٢، ١٤١٠هـ.

- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايـا القرآن الكريم) لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت).
- حاشيـة ابن المنير على الكشاف (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) لناصر الدين أحمد بن المنير، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٢هـ.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، ١٤١٣هـ.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة الإحسان، مصر، القاهرة، (د.ت).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- ديوان طرفة، شرح مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة ، بيروت، (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، عناية: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة للحافظ السيوطي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: محمد باسل السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل ، عناية : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، واليمامة للطباعة والنشر، (د.ت).
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط الأخيرة، ١٣٩٢هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ط١، بيروت ١٤٠٧هـ.
- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.
- المطول لسعد الدين التفتازاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٣٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني، ت: محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.
- النداء في اللغة والقرآن، لأحمد فارس، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.

الدويات:

- ""نداء المخاطبين في القرآن وأسراره البلاغية" لعلي عبد الواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، العدد الثامن، ١٣٩٨، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض.
